

## تفاوت النمو بين الشمال والجنوب (المجال المتوسطي نموذجا)

تمهيد إشكالي:

يضم المجال المتوسطي كل مناطق البحر الأبيض المتوسط، وهو نموذج للتفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين صفتية الشمالية والجنوبية، لذلك تسعى دول الحوض إلى تكثيف التعاون فيما بينها بهدف تضييق الفوهة بين الشمال الغني والجنوب الفقير.

فماذا عن الامتداد الجغرافي للمجال المتوسطي وأهم خصائصه الجغرافية طبيعياً وبشرياً؟

وما هي مظاهر التفاوت في مستوى التسمية بين صفتية المجال المتوسطي؟

وما هي مجالات وحصيلة ومعيقات التعاون الأوروبي المتوسطي؟

### I - توطين المجال المتوسطي ووصف بعض خصائصه العامة:

#### 1 - توطين المجال المتوسطي وبعض خصائص موقعه الجغرافي:

**المجال المتوسطي:** عبارة عن فضاء جغرافي يتكون من مجموعة من البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط تلتقي فيه قارات إفريقيا وأوروبا وآسيا، وحسب الإحداثيات الجغرافية: فهو فال المجال المتوسطي يقع بين خطى عرض  $21^{\circ}$  و  $48^{\circ}$  شمالاً، وخطي طول  $17^{\circ}$  غرباً و  $40^{\circ}$  شرقاً، وبذلك فهو يحتل موقعاً استراتيجياً بتوارده في محاور الملاحة العالمية، مما يجعله منطقة احتكاك واتصال بين عالمين متداولين من حيث درجة النمو الاقتصادي والاجتماعي، هما: العالم النامي في الشرق والجنوب، والعالم المتقدم في الشمال، تخلله مجموعة من المصايف والممرات البحرية المهمة كمضيق جبل طارق، مضيق صقلية، ومر قنطرة السويس، ومضيق البوسفور.

#### 2 - وصف بعض الميزات العامة للمجال المتوسطي طبيعياً وبشرياً:

##### أ - الخصائص الطبيعية:

يتميز المجال المتوسطي بخصائص طبيعية متباعدة، يمكن رصدها من خلال:

✓ **التضاريس:** يتميز المجال المتوسطي بغلبة الكتل الجبلية التي تند على مساحات شاسعة، من بينها سلسلة جبال الألب بالقسم الشمالي، وسلسلة جبال الأطلس بالقسم الجنوبي، وتنحد السهول فقط على المناطق الساحلية، إضافة إلى الامتداد الشاسع للصحراء في القسم الجنوبي للمتوسط.

✓ **المناخ:** يتميز بالتنوع والتدرج، حيث يسود المناخ المحيطي والمناخ المتوسطي المتميز بأهمية تساقطاته وانتظامها بالقسم الشمالي، بينما يسود المناخ الصحراوي والمناخ المتوسطي المتميز بجفافه وعدم انتظام تساقطاته القسم الجنوبي.

##### ب - الخصائص البشرية:

يتميز المجال المتوسطي بخصائص بشرية متباعدة، ويمكن رصده ذلك من:

✓ **حيث عدد السكان:** توفر دول الجنوب المتوسطي على طاقة بشرية هائلة تبلغ 249,6 مليون نسمة، مقابل تبلغ 199,1 مليون نسمة في الشمال.

✓ **حيث البنية العمرية:** تتوفر بلدان الجنوب على بنية فتية، حيث تشكل الفئة الأولى نسبة 33,4%， والفتاة النشيطة 61,5%， في مقابل بنية عمرية شائخة في دول الشمال، إذ تشكل فئة الشيخ نسبه 15,3%.

✓ **معدل أمد الحياة:** يبلغ أمد 78 سنة في دول الشمال بينما يصل 71 سنة في دول الجنوب.

✓ **حيث التوزيع الجغرافي:** تتراوح الكثافة السكانية ما بين أقل من 10 نسمة في الكيلومتر مربع، وأزيد من 100 في الكيلومتر مربع، مما ساهم في بروز تجمعات حضرية كبيرة تتجاوز عدد سكانها 5 ملايين نسمة لاسيما في الجزء الشمالي، بينما يتركز أغلب سكان الجنوب في المناطق الساحلية المتوسطية والاطلantique بسبب العوامل الطبيعية والتاريخية والاقتصادية.

### II - وصف بعض مظاهر عدم التكافؤ في الميدان الاقتصادي بالمجال المتوسطي وتفسيره:

تشجلي مظاهر عدم التكافؤ بين صفتية المجال المتوسطي في كافة القطاعات الاقتصادية، ويوضح ذلك من خلال:

## أ - وضعية الفلاحة بال المجال المتوسطي :

✓ دول الشمال: إنتاج فلاحي ضخم يصل إلى درجة الفائض في الكثير من المنتجات الفلاحية (إنتاج القمح 51 مليون طن، والذرة 40 مليون طن، إنتاج الأبقار 37 مليون رأس ...)، وذلك بفضل نجاح دول الشمال فلاحة عصرية ومتقدمة تستعمل أحدث تقنيات الإنتاج (استعمال الأسمدة والمبيدات، والاستفادة من مكتنة العمليات الفلاحية، ومن نتائج البحث العلمي، ووجود أراضي صالحة، ومناخ معتدل).

✓ دول الجنوب: فلاحة تقليدية تعاني من مشكل الضغط الديموغرافي على الأراضي الفلاحية، إلى جانب الاستغلال المفرط للأراضي الفلاحية، بالإضافة إلى المشاكل السياسية المرتبطة بتهيئة واستغلال الموارد ذات الطابع الدولي.

## ب - وضعية الصناعة بال المجال المتوسطي :

✓ دول الشمال: وجود إنتاج صناعي كثيف ومتطور ومرتفع القيمة لاعتماده على الصناعات المتطورة، وتزايد الاهتمام بالصناعات العالية التكنولوجيا كصناعة الفضاء وصناعة الطائرات، و تستفيد الصناعة بهذا القسم من مؤهلات خبرة اليد العاملة، ووجود سوق استهلاكية واسعة ذات دخل مرتفع، والتقدم التكنولوجي الكبير الذي تدعمه البحوث العلمية والبنية التحتية القوية، كذا الاستفادة من القروض والمساعدات للقطاعات المتضررة.

✓ دول الجنوب: إنتاج صناعي ضعيف مما يحتم على هذه الدول الارتباط بالأسواق الخارجية، والاهتمام الكبير بالصناعات الاستهلاكية (صناعة النسيج، والصناعة الغذائية ...)، والصناعات الأساسية (الصناعات الكيماوية، والبيتروكيماوية ...)، كما تنتشر بهذا القسم عدة طرق بحرية كبيرة لنقل البترول نحو بلدان الشمال، كما أصبحت تعرف اهتماماً كبيراً بالصناعات الثقيلة في إطار ما يعرف بإعادة التوطين.

## ج - وضعية التجارة بال المجال المتوسطي :

ترتبط دول الشمال المتوسطي بمنيوه بمبالغات تجارية مهمة، فاغلب التعاملات التجارية للجنوب تتم مع الشمال لأسباب عديدة، منها عوامل تاريخية (التبعية الاستعمارية)، وأمن المياه المتوسطية (غياب القرصنة البحرية)، واتفاقيات التبادل الحر والشراكة الاقتصادية بين شمال وجنوب المتوسط، وقرب المسافات، والعلاقات السياسية المتميزة في الغالب بين دول المتوسط، لكن يلاحظ عدم التوازن في التعاملات التجارية بين الطرفين، ففي الوقت الذي تصدر فيه دول الجنوب المواد الخام والمنتجات الفلاحية الضعيفة القيمة، تقوم دول الشمال بتصدير المنتوجات المصنعة والعالية التكنولوجيا نحو الجنوب، مما يساهم في تفقيـر الميزان التجاري لدول الجنوب (أغلب دول الجنوب تسجل عجزاً)، مع عدم تكافـؤ الميزان التجاري بين طرفـي المجال المتوسطي، حيث يتحقق فائضاً مهماً لصالـح الاتحاد الأوروبي الشريك التجاري الأسـاسي لـبلدان الجنوب المتوسطي، في مقابل عجز واضح بالنسبة لـبلدان الجنوب المتوسطي بسبب عدم تكافـؤ العلاقات التجارية بينـهما، حيث تـصدر بلـدان الجنوب نحو بلدـان الشمال أكثر مما تستورد منها.

## د - السـياحة والترفيـه بالـمـتوسطي :

يتوفر المجال المتوسطي على مؤهلات سـياحـية تسـاعد على استقطـاب السـياح وـمن أـهمـها:

✓ السـواحل المتوسطـية التي تـتميز بـكـثـرة الشـواطـىـ الرـملـيـة وـطـولـ الفـقـرـةـ المـشـمـسـةـ.

✓ المناظـرـ الطـبـيـعـيـةـ المـتـسـوـعـةـ،ـ والـتـرـاثـ الحـضـارـيـ العـرـيقـ،ـ وـالـبـنـيـةـ التـحـتـيـةـ الضـخـمـةـ (ـفـنـادـقـ،ـ وـسـائـلـ المـواـصـلـاتـ ...ـ).

ورغم ذلك فـهـنـاكـ تـفاـوتـ كـبـيرـ فيـ قـطـاعـ السـيـاحـةـ ماـ بـيـنـ الجـالـيـنـ الشـمـالـيـ وـالـجـنـوـيـ،ـ وـيـتجـلـيـ هـذـاـ التـفاـوتـ فـيـ:

✓ ارتفاع عدد السـيـاحـ الوـافـدـيـنـ عـلـىـ القـسـمـ الشـمـالـيـ مـقـارـنـةـ معـ القـسـمـ الجـنـوـيـ،ـ بـجـيـثـ يـصـلـ عـدـدـ السـيـاحـ الوـافـدـيـنـ عـلـىـ اـسـپـانـياـ لـوـحـدـهـ إـلـىـ 40ـ مـلـيـونـ سـائـحـ،ـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ لاـ يـتـجاـوزـ فـيـهـ عـدـدـ السـيـاحـ بـتـونـسـ 2ـ مـلـيـونـ سـائـحـ.

✓ وجود أـهمـ المـخـطـاتـ وـالـسـواـحلـ السـيـاحـيـةـ بـالـقـسـمـ الشـمـالـيـ،ـ نـاهـيـكـ عـنـ كـوـنـ مـعـظـمـ السـيـاحـ مـنـ دـوـلـ أـورـباـ الـغـرـبـيـةـ وـالـشـمـالـيـةـ.

## III - بعض مظاهر عدم تكافـؤ الدـخـلـ بـالـمـجالـ المـتوـسطـيـ وبـعـضـ انـعـكـاسـاتهـ:

## 1 - التفاوت في مستوى توزيع الدخل وبقي أبعاد التنمية البشرية:

- تفاوت في قيمة الناتج الداخلي الخام بين بلدان الشمال والجنوب المتوسطين، ويتبين ذلك من خلال المؤشرات الآتية:
- ✓ احتلال فرنسا وإسبانيا صدارة بلدان الشمال المتوسطي بما قيمته 1392 مليار دولار سنة 2005م.
  - ✓ تصدر تركيا قائمة بلدان الجنوب المتوسطي بما مجموعه 185 مليار دولار سنة 2005م.

ما ينعكس على قيمة الدخل الفردي إذ يتراوح في بلدان الشمال ما بين 30 ألف دولار و 5 آلاف دولار، وتتصدر فرنسا لها، وما بين 8 آلاف دولار و 3 آلاف دولار في بلدان الجنوب، وتتصدر تونس لها، ويرجع الفاوت الملاحظ إلى عدة عوامل من أبرزها:

- ✓ تفاوت مساهمة القطاعات الاقتصادية في الناتج الداخلي الخام.
- ✓ حجم الاستثمارات الداخلية والخارجية التي يقوم بها كل طرف من أطراف المجال المتوسطي لتحسين الناتج الداخلي الخام.
- ✓ توفر بعض بلدان الشمال على شركات متعددة الجنسيات ومساهمتها في الرفع من ناتجها الداخلي الخام.
- ✓ حصة كل طرف من أطراف المجال المتوسطي من التجارة العالمية.
- ✓ مكونات الصادرات الأساسية لكل من دول الشمال ودول الجنوب المتوسطي.

## 2 - على مستوى الوضعية الاجتماعية:

يتضح من خلال المؤشرات الاجتماعية مدى التباين الحاصل ما بين طيف المجال المتوسطي، بحيث تتفوق بلدان الشمال على بلدان الجنوب في جميع مؤشرات التنمية البشرية:

- ✓ **الشمال المتوسطي:** تتتوفر على مؤشرات إيجابية بخصوص الوضعية الاجتماعية للسكان، فنسبة التعليم تجاوزت 98% وانخفضت نسبة الأمية إلى 2%， كما أن نسبة البطالة لا تتجاوز 10%， وتجاوزت المصاريف العمومية الخاصة بالصحة 7.7%， وانعكس هذا الوضع بشكل إيجابي على مؤشر التنمية البشرية والذي وصل إلى 0.8 فأكشن.
- ✓ **الجنوب المتوسطي:** يتميز بوضعية اجتماعية مزرية تتضمن من خلال مؤشرات التنمية البشرية، فنسبة الفقر وصلت إلى 21%، ونسبة الأمية لا تزال مرتفعة 20%， ونسبة التأثير الطبي لا تتجاوز في أغلب البلدان 120 طبيب لكل ألف نسمة، وانعكس هذا الوضع على قيمة مؤشر التنمية البشرية حيث لا يتجاوز في أغلب البلدان 0.7.

## VI - آليات و مجالات التعاون الأوروبي المتوسطي، و حصيلته و تحدياته وآفاقه المستقبلية:

### 1 - آليات و مجالات التعاون الأوروبي المتوسطي:

بقصد بالتعاون الأوروبي المتوسطي سياسة التعاون المشترك بين الاتحاد الأوروبي والبلدان المتوسطية، فالتعاون بينهما انطلق منذ ستينيات القرن الماضي وعرف تطويرا كبيرا خلال السبعينيات بانطلاق السياسة الشاملة، وقد شكل مؤتمر وزراء الخارجية للبلدان الأوروبي المتوسطية المنعقد ببرلين الشرقية يومي 27 و 28 نوفمبر سنة 1995 خطوة هامة نحو شراكة أوروبية حقيقة، حيث حدثت في هذا المؤتمر مجالات التعاون الأوروبي المتوسطي:

- ✓ **المجال السياسي والأمني:** ويشمل خلق منطقة للسلام والاستقرار السياسي في حوض المتوسط، والعمل على احترام حقوق الإنسان والحربيات الأساسية، وتشجيع الديمقراطية ودولة الحق والقانون، ومحاربة مشاكل الهجرة السرية وتهريب المخدرات، والعنف السياسي.
- ✓ **المجال الاقتصادي والمالي:** ويضم إنشاء منطقة للتبادل الحر عبر إلغاء الرسوم الجمركية، وخلق مناطق حرة، وتنمية المبادرات التجارية بين البلدان المتوسطية، وتقديم مساعدات مالية للإصلاح الاقتصادي من خلال برنامج "ميدا"، إضافة إلى منح قروض واستثمارات بواسطة البنك الأوروبي للتنمية.
- ✓ **المجال الاجتماعي والثقافي:** ويتوجه تحقيق تقارب وتوافق بين مجتمعات المنطقة المتوسطية، وتنمية الموارد البشرية لها، وتشجيع الحوار والتبادل الثقافي بين شعوب وحضارات المنطقة المتوسطية.

## 2 - حصيلة التعاون الأوروبي المتوسطي:

- ✓ التوقيع على عدة اتفاقيات للشراكة بين الاتحاد الأوروبي وبلدان الجنوب المتوسطي.
- ✓ انطلاق المشاريع التنموية المولدة من طرف برنامج "ميديا 1 وميديا 2" والتي حققت تطوراً واضحاً.
- ✓ تعدد مصادر الاستثمارات الأجنبية المنجزة في بلدان الجنوب المتوسطي (الخليج العربي 39,2 %، الولايات المتحدة وكندا بـ 26,5 %، والاتحاد الأوروبي 20,7 %).
- ✓ هزالة المبادرات التجارية البيجيهوية في البلدان الأوروبي المتوسطية، حيث لا تمثل سوى نسبة 15% من مجموع مبادلاتها الخارجية، وهي الأضعف عالمياً إذا ما قورنت بمنطقة في مثل هذا الحجم والأهمية.

## 3 - تحديات وآفاق التعاون الأوروبي المتوسطي:

ترايد الهجرة السرية وفرض قيود جديدة على الهجرة القانونية ومشكل تهريب المخدرات وضعف تدفق الاستثمارات نحو الجنوب وانعكاسات التوسيع المستمر للاتحاد الأوروبي نحو الشرق واستمرار نهج السياسة الحمائية ( المنتجات الفلاحية بأوربا، المنتجات الصناعية بالجنوب )، إضافة إلى الصراعات والأزمات السياسية بالمنطقة، والآثار السلبية لقضية الإرهاب على العلاقات بين أوربا والدول العربية الإسلامية، والخلاف حول تخفيض الرسوم الجمركية لإنشاء منطقة للتبادل الحر في أفق 2010م.

أما عن الآفاق المستقبلية فتستخلص في انقسام المتبين إلى:

- ✓ **المتشائمين**: يرون الحصيلة هزيلة والآفاق غامضة بسبب انشغال الاتحاد الأوروبي واهتمامه بتنمية الأعضاء الجدد في شرق وجنوب شرق أوربا، وضعف الاهتمام بدول الجنوب (ضعف الاستثمارات والمساعدات المتاحة، ضعف نسبة التجارة ...)، وحرص الأوروبيين على مصالحهم أكثر من اهتمامهم بتنمية الجنوب، وتركيزهم على قضايا السياسة والأمن ( الهجرة، المخدرات، الإرهاب ...).
- ✓ **المتفائلين**: يرون ضرورة الإشادة بما تحقق ولو كان يسيراً (ترايد نسبة التجارة والاستثمارات الأجنبية)، والدعوة لتطوير التجربة مستقبلاً من خلال الإسراع بتحقيق الاندماج الجهوي بين بلدان الجنوب المتوسطي، وتبني سياسة أوربية جديدة للحوار مع البلدان المتوسطية والأوربية الشرقية، وتدارك التأخر بنهج إصلاحات عميقة في دول الجنوب المتوسطي (تحرير الاقتصاد، تحسين مناخ الاستثمار، ونشر الديمقراطية).

خاتمة:

نخلص إلى القول أن العلاقات بين بلدان الشمال وبلدان الجنوب من خلال النموذج المتوسطي تشوّهاً هيمنة الاقتصادية وثقافية يمارسها القسم الشمالي على القسم الجنوبي مما يحتم على هذه الأخيرة التعاون فيما بينها في إطار جنوب جنوب إن هي أرادت اللحاق بركب الدول المتقدمة.

### شرح المصطلحات:

- الناتج الداخلي الخام: القيمة المضافة لما تنتجه القطاعات الاقتصادية داخل البلد خلال السنة.
- الشراكة: تعاقد بين طرفين أو أكثر، للتعاون وتبادل الخبرات في مجالات متعددة.
- منطقة التبادل الحر: منطقة تضم دولاً تتفق على تحرير المبادرات فيما بينها.
- منطقة حرة: تتمتع بامتيازات جمركية وجبلية لاستقطاب رؤوس الأموال خاصة الأجنبية.